SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 1، المجلد 1، كانون أبريل 2015م.

e ISSN 2289-9073

QURANIC STUDY IN THE LIGHT OF THE QUR'AAN AND SUNNAH

التدبر القرآني في ضوء الكتاب والسنة

الدكتورة ساجدة حلمي سمارة، الأستاذ المساعد في كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

sajedah@usim.edu.my

الدكتور نجم عبدالرحمن خلف، الأستاذ المشارك في كلية دراسات القرآن والسنة،جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

najm@usim.edu.my

1436هـ – 2015م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 2/9/2014
Received in revised form 2/11/2014
Accepted 13/12/2014
Available online 15/4/2015

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

Regrettably, Muslims' interest in the Qur'an has lessened. Many of them limited their focus to reading or reciting the Holy Qur'an rather than contemplating it and understanding its meanings and instructions. Others even went further than that by not complying with its commands. Due to this, Muslims weakened and missed out on the civilizing process and leadership. Allah (swt) descended the Qur'an for us to consider it with care and act accordingly. But, unfortunately, many Muslims limited their study of the Qur'an to research and working purposes. One may recite the Holy Qur'an perfectly but fails to comply with its teachings.

This paper is concerned with the issue of contemplating the Holy Qur'an. It aims at expounding the concept at both lexical and technical levels. It also explores the Prophetic method to meditate on the Qur'an. It presents the advantages and fruits of meditation on the Qur'an and underlines its status in the Qur'an and the Sunnah. It analyzes, as well, the stages of meditation and the appropriate way to recite the Qur'an with contemplation and influence.

الملخص

تراجع اهتمام المسلمين بالقرآن، وانحسر حتى اقتصر الأمر عند غالب المسلمين على حفظه وتجويده وتلاوته فقط بلا تدبر ولا فهم لمعانيه ومراداته، مع ترك العمل به أو التقصير في ذلك، وقد ترتب على ذلك أن ضعف المسلمون وتراجعوا وخسروا الكثير من القيادة والريادة والتألق، ذلك لأنهم أهملوا الجانب الأعظم في التعامل مع هذا الكتاب الكريم، الذي هو كتاب هداية ودراية، ورقي وبناء، وحضارة وعطاء. وقد أنزل الله علينا القرآن لنتدبره ونعمل به ونستخرج كنوزه، فاتخذنا دراسته عملا وإنتاجا، فهناك من يقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته لا يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به.

والله تعالى أنزل القرآن الكريم وأمرنا بتدبره والعمل به وتكفل لنا بحفظه، فانشغلنا بحفظه وتركنا تدبره. وهذه هي مشكلة البحث الرئيسة في هذه الورقة العلمية. ولما كان أكثر المقبلين على القرآن لا يعنون بتدبره ومعرفة معانيه، فقد ارتأينا أن نتناول هذه الموضوعات بشيء من الاهتمام والتركيز والعناية حتى يحقق البحث هدفه وغايته.

وسوف نتعرض للتدبر لغة واصطلاحا، مع بيان معانيه، ونوضح منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في التدبر المثالي، وإن التأمل والتفكر وطول النظر يثمر التدبر الصحيح، ثم نقف مع فوائد وثمار التدبر في القرآن الكريم، مبينين منزلة التدبر في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومراحل فن التدبر، وتلاوة القرآن الكريم من التدبر إلى التأثر الفاعل المؤثر.

المقدمة

القرآن الكريم هادي البشرية ومرشدها ونور الحياة ودستورها، ما من شيء يحتاجه البشر إلا وبيَّنه الله فيه نصاً أو إشارة أو إيماءاً، عَلِمه مَنْ عَلِمه، وجهله من جهله.

ولذا اعتنى به صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وتابعوهم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً. وعلى ذلك سار سائر السلف. ومع ضعف الأمة في عصورها المتأخرة تراجع الاهتمام بالقرآن وانحسر حتى اقتصر الأمر عند غالب المسلمين على حفظه وتجويده وتلاوته فقط بلا تدبر ولا فهم لمعانيه ومراداته، وترتب على ذلك ترك العمل به أو التقصير في ذلك، "وقد أنزل الله القرآن وأمرنا بتدبره، والعمل به وتكفل لنا بحفظه، فانشغلنا بحفظه وتركنا تدبره"

ولما كان أكثر المقبلين على القرآن لا يعنون بتدبره ومعرفة معانيه، فقد ارتأينا أن نتناول هذه الموضوعات بشيء من الاهتمام والتركيز والعناية حتى يحقق البحث هدفه وغايته.

كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين."[1]

لا يختلف اثنان أن رفعة السلف الصالح كانت تصديقا للشق الأول من هذا الحديث وبسبب التصاقهم بالقرآن الكريم فهما وتطبيقا وحسن تدبر رفعهم الله سبحانه.

ولا يختلف اثنان كذلك أن سبب الذلة التي نعانيها اليوم هو تصديقا للشق الثاني للحديث حيث ابتعدنا عن القرآن الكريم فهما وتطبيقا وتدبرا فأذلنا الله سبحانه، لذلك كان لزاما علينا إن كنا نريد لأمتنا أن تستعيد مجدها وشهودها الحضاري أن نعيد تنظيم علاقتنا مع القرآن الكريم وفق المنهج الذي ارتضاه الله لنا

وهذا المنهج يكمن في قوله تعالى " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها.[2]'' ويكمن أيضا في علاقة الرسول الكريم مع القرآن فقد كان عليه السلام قرآنا يمشي على الأرض.

---

[1] أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني.1421 هـ / 2001 م *المسند*،تحقيق: شعيب الأرنؤوط،عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1.مؤسسة الرسالة.ج3:ص 355، قال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين. هشام: هو ابن عروة بن الزبير، وعاصم:وأخرجه مسلم (1100) من طريق ابن نمير.

كما أخرجه،الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي 1412 هـ/ 2000 م. *(سنن الدارمي)*،تحقيق: حسين سليم أسد الداراني،ط1. المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.ح4:ص2118

[2] القرآن الكريم، سورة محمد،47: 24

معانى تدبّر القرآن:

التَّدبُّر في لسان العرب: النظر الثاقب في أدبار الأمور والوقوف على ما تنتهي إليه[3].

وتدبّر القرآن هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله وهو المقصود بإنزاله لا مجرّد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر. قال سبحانه وتعالى في آياته المشهودة: "وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ* إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"[4]

وكلّ تَعَقُّلٍ وتَفَكُّرٍ وتَفَقُّهٍ وتَفَهُّمٍ للبيان القرآني لا يحقق العلم بدرجة من درجات الهداية إلى الصراط المستقيم لا يكون من تدبر القرآن الكريم في شيْءٍ.

والناس عند سماع القرآن أنواع ثلاثة كما قال ابن القيم:

الأول: رجل قلبه ميّت، فذلك الّذي لا قلب له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقّه.

الثّاني: رجل له قلب حيّ مستعد، لكنّه غير مستمع للآيات المتلوّة، الّتي يخبر بها اللّه عن الآيات المشهودة، إمّا لعدم ورودها، أو لوصولها إليه وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرا، فهذا أيضا لا تحصل له الذّكرى، مع استعداده ووجود قلبه.

والثّالث: رجل حيّ القلب مستعدّ، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السّمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملقي السّمع، فهذا القسم هو الّذي ينتفع بالآيات المتلوَّة والمشهودة.

فالأوّل: بمنزلة الأعمى الّذي لا يبصر.

والثّاني: بمنزلة البصير الطّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.

والثّالث: بمنزلة البصير الّذي قد حدّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسّط من البعد والقرب، فهذا هو الّذي يراه.[5]

---

[3] ابن منظور:محمد بن مكرم بن على.1414 هـ. *لسان العرب*.ط3.بيروت: دار صادر. ج4:ص273

[4] القرآن الكريم،سورة ق. 50: 36- 37

[5] ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب. 1416 هـ - 1996م. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.ج1. ص441

التدبر لغة:

التّدبّر مصدر تدبّر وهو مأخوذ من مادّة (د ب ر) الّتي يقول عنها ابن فارس: أصل هذا الباب أنّ جلّه في قياس واحد وهو آخر الشّيء وخلفه خلاف قبله. فمعظم الباب أنّ الدّبر خلاف القبل، وفي الحديث لا تدابروا، وهو من الباب، وذلك أن يترك كلّ واحد منهما الإقبال على صاحبه بوجهه.

وقال ابن منظور: دبّر الأمر وتدبّره: نظر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعرف الأمر تدبّرا أي بأخرة، قال جرير:

ولا تتّقون الشّرّ حتّى يصيبكم... ولا تعرفون الأمر إلّا تدبّرا

والتّدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتّدبّر في الأمر: التّفكّر فيه، وفلان ما يدري قبال الأمر من دباره أي أوّله من آخره، ويقال: إنّ فلانا لو استقبل من أمره ما استدبره لهدي لوجهة أمره أي لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره لاسترشد لأمره، وقال أكثم بن صيفيّ لبنيه: يا بنيّ، لا تتدبّروا أعجاز أمور قد ولّت صدورها.[6]

التدبر اصطلاحا:

النّظر في عواقب الأمور وهو قريب من التّفكّر، إلّا أنّ التّفكّر تصرّف القلب بالنّظر في الدّليل والتّدبّر تصرّفه بالنّظر في العواقب.[7]

كيفية التدبّر:

هو أن ينهج نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأدب العظيم، فيشغل قلبه بالتفكّر في معاني ما يلفظ به، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك كله. فإن كان مما قصّر عنه فيما مضى، اعتذر واستغفر.

وإذا مرّ بآية رحمة: استبشر وسأل. أو عذاب: أشفق وتعوّذ. أو تنزيه: نزّه وعظّم. أو دعاء: تضرّع وطلب.

هكذا كان نهجه صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج مسلم عن حذيفة قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقرأها ثم النساء فقرأها.[8]

---

[6] ابن منظور:محمد بن مكرم بن على.1414 هـ. *لسان العرب*.ط3.بيروت: دار صادر. ج4:ص273

صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي مع بعض المختصين. *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم* – صلى الله عليه

[7] وسلم.ط4.جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع. ج3:ص846.

[8] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.ج1: ص536

منزلة التدبر في القرآن الكريم:

أوجب الله على المسلمين تدبُر القرآن الكريم، وإمعان النظر في آياته، وإطالة الوقفة أمامها، والتزود بالعلوم الضرورية من أجل دقة النظر، وصوابية الفهم، وصحة النتائج والدلالات التي يخرج بها من القرآن.

قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}.[9]

وقال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}.[10]

وبيَّن لنا سبحانه أنه أنزل الكتاب لنتدبر آياته، ونخرج من هذا بالفهم والعلم والذكر، وأن هذا التدبُّر وسيلة تكوين اللب الحي، والعلم النافع، والعقلية العلمية المنهجية الواعية، وأنه هو الذي يُنشِّط العقل وُيمرِّنه، وُيريِّضه الرياضة العلمية النافعة فقال: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[11].

وتدبُّر القرآن لا ينتهي، فلو توافرت عليه كل العقول – المختلفة في ثقافاتها واهتماماتها – حتى قيام الساعة ما استَنفدَت علومَه ومعانيه ودلالاته.

1– قال الله تعالى –:((كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ))[12] في هذه الآية بين الله تعالى – أن الغرض الأساس من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر لا مجرد التلاوة على عظم أجرها.

قال الحسن البصري: "والله! ما تدبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله، ما يُرى له القرآنُ في خُلُق ولا عمل"[13]

2– قال تعالى:– ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...))[14]

قال ابن كثير: " يقول الله تعالى آمراً عباده بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة: أفلا يتدبرون القرآن"، فهذا أمر صريح بالتدبر والأمر للوجوب.

3– قال تعالى:– ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))[15]

---

[9] القرآن. سورة النساء.4: 82

[10] القرآن.سورة محمد،47: 24

[11] القرآن.سورة ص،38: 29

[12] القرآن.سورة ص،38: 29

[13] ابن المبارك: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي. *الزهد والرقائق*، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت:دار الكتب العلمية. ج1:ص274

[14] القرآن.سورة النساء4: 82، وسورة محمد: 24.

[15] القرآن.سورة البقرة2: 121

روى ابن كثير عن ابن مسعود قال: "والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله"[16] وقال الشوكاني: "يتلونه: يعملون بما فيه" ولا يكون العمل به إلا بعد العلم والتدبر[17].

4 – قال تعالى:-((وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ))[18]

قال الشوكاني: "وقيل: (الأماني: التلاوة) أي: لا علم لهم إلا مجرد التلاوة دون تفهم وتدبر"، وقال ابن القيم: "ذم الله المحرفين لكتابه والأميين الذين لا يعلمون منه إلا مجرد التلاوة وهي الأماني".

5 – قال الله – تعالى -:((وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا))[19]

قال ابن كثير: "وترك تدبره وتفهمه من هجرانه".

وقال ابن القيم: "هجر القرآن أنواع... الرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه"[20]

منزلة التدبر في السنة النبوية:

1 – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"[21].

فالسكينة والرحمة والذكر مقابل التلاوة المقرونة بالدراسة والتدبر.

أما واقعنا فهو تطبيق جزء من الحديث وهو التلاوة أما الدراسة والتدبر فهي – في نظر بعضنا – تؤخر الحفظ وتقلل من عدد الحروف المقروءة فلا داعي لها.

---

[16] المروزي:أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي. 1406، *تعظيم قدر الصلاة*، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط1. المدينة المنورة: مكتبة الدار. ج1:ص397

[17] الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني 1414. *فتح القدير*.ط1.دمشق، بيروت:دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.ج1:ص158

[18] القرآن.سورة البقرة. 2: 78

[19] القرآن. سورة الفرقان. 25: 30

[20] ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. 1393هـ / 1973 م. *الفوائد*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.ج1: ص82

[21] مسلم بن الحجاج النيسابوري. *صحيح مسلم*. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.ج4: ص2074

2 – روى حذيفة – رضي الله عنه –: "أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فكان يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ"[22]

فهذا تطبيق نبوي عملي للتدبر ظهر أثره بالتسبيح والسؤال والتعوذ.

3 – عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: "صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها:((إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم))[23]

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم التدبر على كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

4 – عن ابن مسعود قال: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"[24]

فهكذا كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة القرآن: تلازم العلم والمعنى والعمل؛ فلا علم جديد إلا بعد فهم السابق والعمل به.

5 – لما راجع عبد الله بن عمرو بن العاص النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن لم يأذن له في أقل من ثلاث ليالٍ وقال: "لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث"[25]

التأمل في القرآن الكريم، وصلته بالتدبر، وثماره:

التأمل هو أولى خطوات التدبر، ولم يرد لفظ التّأمّل في القرآن الكريم صراحة ولكن أشارت إليه عديد من الآيات الّتي تأمر بالنّظر في خلق اللّه والتّثبّت في رؤية عجائب الكون وآثار السّابقين، وقد نعت آيات كثيرة على المشركين عدم تأمّلهم فيما تشاهده أعينهم ويقع تحت أيديهم من عجائب صنع اللّه، وقد اقترنت آيات كثيرة بالأفعال «يروا، ينظروا» بصيغة المضارع الّتي تدلّ على الاستمرار وإدامة الرّؤية أو النّظر. مثال ذلك قوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[26].

---

[22] مسلم، صحيح *مسلم*، ج1: ص536

[23] القرآن. سورة المائدة. 5: 118

[24] أحمد بن حنبل. *المسند*. ج 28.ص 467. قال المحقق: وسنده صحيح

[25] أبو داود:سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني. *سنن أبي داود*. المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد.صيدا.بيروت: المكتبة العصرية. ج2: ص52

[26] القرآن.سورة العنكبوت. 29. 19- 20

إنّ التّأمّل الّذي دعا إليه القرآن الكريم ونعى على الكفّار والمشركين عدم تنبّههم له وغفلتهم عنه ممّا جعلهم في غيّهم يعمهون، يتعلّق بأشياء كثيرة منها:

التّأمّل في عجائب صنع اللّه– عزّ وجلّ– ومنها التّأمّل في خلق الإنسان، ومنها التّأمّل في إحياء اللّه الأرض بعد موتها، ومنها التّأمّل في آثار الأمم السّابقة، وقد كان تأمّل ذلك حريّا بأن يردّهم إلى الصّواب ويحملهم على التّصديق بالوحدانيّة والإيمان بالبعث، ولكن أنّى لهم ذلك، وقد صاروا كالبهائم الّتي لا عقل لها فلا تستنبط شيئا ممّا تراه الأعين، ولو كانوا يعقلون لما فاتهم استخلاص العبر والوصول إلى النّتائج.

فوائد التأمل:

(1) التّأمّل نافع للعبد في معاشه ومعاده، حيث يعرف به العبد معالم الخير والشّرّ.

(2) التّأمّل خير معين على التّقوى والموعظة.

(3) التّأمّل قيمة عقليّة كبرى تجعل صاحبها في مأمن من تقلّب الأيّام وصروف الزّمان.

(4) التّأمّل يؤدّي بالمسلم أن يكون إيمانه عن اقتناع ويخرجه من دائرة العامّة إلى الخاصّة.

(5) التّأمّل دليل البصر.

(6) التّأمّل رأس رجاحة العقل.[27]

ثمرات تدبر القرآن الكريم:

أنزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – ليكون هدى ورحمة وبشرى لعباده: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }[28]

عند تأصيل منهج تدبر القرآن الكريم؛ لابد من ذكر الثمرات التي يُرجع إليها لمعرفة المنهج الصحيح لتدبر القرآن الكريم، حيث قد وُجد خلط بين بعض السلوكيات المصاحبة لتلاوة القرآن الكريم، وبين تدبر القرآن الكريم، فظنَّ كلُّ من عَمِلَ عملاً متأثراً بالقرآن أنَّ ذلك نتيجة التدبر، وهو غير صحيح بل لابد من التمعن في هذه الثمرات، وقياس الإنسان نفسَه عليها حتى يعلم موافقته للتدبر الصحيح من عدمها. ومن تلك الأصول ما يأتي:

---

[27] صالح بن عبدالله. *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم*. ج2: ص 863

[28] القرآن.سورة الزمر39:23

الثمرة الأولى: التدبر الصحيح يهدي إلى الإيمان ويزيده.

وقد دلَّ على ذلك أدلة من كتاب الله تعالى منها:

1-قال تعالى: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون)[29]

2- وقوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)[30]

فالآيات صريحة في زيادة إيمان المؤمنين بسبب ما أنزل من القرآن الكريم، وإنما يكون ذلك عند تأمل القرآن وتدبره وفهم وفهم ما فيه، مما ينتج عنه الخوف والفزع والرجاء بما عند الله، والعمل بما يتضمن من أوامر ونواهٍ.

الثمرة الثانية: التدبر يبعث على الخشية والخوف والرجاء والدمع.

وقد دلَّ على ذلك آيات منها:

أ . قوله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد)[31]

ب . وقوله تعالى: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)[32]

قال ابن كثير: "هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) لما يرجون ويُؤمِّلون من رحمته ولطفه"[33]

وقد وصف الله الذين أوتوا العلم بالخشوع والبكاء عند استماع القرآن، قال تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

---

[29] القرآن. سورة التوبة. 9: 124

[30] القرآن. سورة الأنفال. 8: 2

[31] القرآن. سورة الزمر،39: 23

[32] القرآن. سورة المائدة،5: 32

[33] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي 1419 هـ. *تفسير القرآن العظيم*.تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1. بيروت:دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.ج7:ص84

عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)[34]

الثمرة الثالثة: التدبر يورث العمل.

فإن تدبر القرآن لا يقفُ بالمؤمن عند مجرد السماع والتأثر، بل يتعدى ذلك إلى العمل والاستجابة لله ورسوله عليه السلام، وهذا أصلٌ عظيم من أصول التدبر، وإلا فقد ذمَّ الله اليهود الذين يزعمون أنهم آمنوا بالكتاب، والحال أنهم لا يعملون به، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ."[35]

وقال الشيخ السعدي: " وكذلك لما كان العلم الشرعي يقتضي العمل به، والانقياد لكتب الله ورسله،[36] قال تعالى عن أهل الكتاب المنحرفين: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[37]

مراحل فن التدبر:

قال الدكتور صالح العويد: هذا الفن-أي فن التدبر- يمكن اكتسابه من مراحل خمسة:

المرحلة الأولى: لابد من اليقين التَّام أنك مع القرآن حي وبدونه ميِّت، مبصرٌ وبدونه أعمى، مهتدي وبدونه ضال.

كل قارئ للقرآن العظيم لابد له من هذا اليقين قبل قراءة آياته وسوره، ولذا يقول الله في سورة طه {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}[38] وأعظم الذِّكر هو هذا الكتاب الخاتم.

فالقرآن هو الروح وبدونه أنت ميِّت {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}[39]

---

[34] القرآن.سورة الإسراء. 17: 106-107

[35] القرآن.سورة البقرة.2: 91

[36] الوهيبي: فهد الوهيبي صفر 1424،ملتقى أهل التفسير http://vb.tafsir.net/tafsir27388/#ixzz2e6fXDmlt

[37] القرآن.سورة البقرة.2: 101

[38] القرآن.سورة طه، 20: 123-124

[39] القرآن. سورة الشورى،42: 52

والقرآن هو النور وبدونه أنت أعمى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا}[40] {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}[41].

والقرآن هو الهدى وبدونه أنت ضال {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا}[42]، والحق هنا هو القرآن كما قاله ابن جرير وغيره، وكل ما عداه من الحق المبين للناس فإنه تابع له.

ولذا كان وصف القرآن للمعرضين عنه في غاية الشِّدة من التَّنقُّص والذم، وخذ مثلاً واحداً على ذلك:

يقول الله سبحانه{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ، كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ، فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ}[43]

المرحلة الثانية: الأصل في خطاب القرآن أنه موجه إلى القلب.

ولذا في هذه الشريعة الخاتم جاء التعظيم لشأن هذه الجارحة كثيراً، ولو لم يأت إلا ما ثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا و هي القلب)[44] لكان هذا كافياً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فالمقصود تقوى القلوب لله، وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له، والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والإخلاص، وهذه ملة إبراهيم الخليل، وهذا كله مما يبين أن عبادة القلوب هي الأصل."[45]

المرحلة الثالثة: كيف نقرأ القرآن ؟

من عظيم شأن القرآن عند الذي تكلّم به سبحانه، أن كيفية القراءة لم تُترك لنا، بل جاء القرآن بالكيفية التي تكون عليها قرآته، ومن ذلك:

---

[40] القرآن. سورة النساء، 4: 174

[41] القرآن.سورة الرعد،13: 19

[42] القرآن. سورة يونس، 10: 108

[43] القرآن. سورة المدثر، 74: 49- 51

[44] البخاري:محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي.1422هـ. *صحيح البخاري*. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط1. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). ج1:ص20

[45] ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،1416هـ/1995م، *مجموع الفتاوى*. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة النبوية.المملكة العربية السعودية:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ج17: ص485.

قوله تعالى {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً}[46]وهو أمر بالمكث وترك العجلة عند القراءة، فعن مجاهد بن جبر – رحمه الله – سُئل عن رجلين أحدهما قرأ البقرة وآل عمران والآخر قرأ البقرة، وقيامهما واحد، وركوعهما وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل ؟

قال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل، ثم قرأ: {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ}.

وقال تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا }[47]، قال ابن عباس: يقرأ آيتين ثلاثة ثم يقطع، لا يُهَذرِم. وقال مجاهد: تَرسَّلْ فيه ترسلاً.

وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر:

ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: كانت مدّا، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم.

وروى أبو داود و الترمذي وغيرهما عن أم سلمة أنها نعتت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بأنها: قراءة مفسرة حرفاً حرفاً[48]. قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

وقال قتادة: بلغنا أن عامة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم كانت المدّ.

ومن الأدلة على كيفية القراءة قوله تعالى في سورة القيامة: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إلى قوله تعالى:ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"[49]

المرحلة الرابعة: بأي القرآن نبدأ

هذه مسألة جليلة كبيرة القدر جداً، قد خفي على كثير من أهل القرآن وجه الصواب فيها، فوقعوا في خلاف منهج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهج أصحابه.

---

[46] القرآن.سورة الإسراء. 17: 106

[47] القرآن.سورة المزمل. 73: 4

48 الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،1998 م.*سنن الترمذي*، المحقق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ج5: ص32 وأما لفظ (كان يقطع قراءته آية آية) فلا يثبت بل هو مرسل.كما أشار إلى ذلك الترمذي وغيره، والفرق بينهما ظاهر من جهة المعنى، وهذا اللفظ هو عمدة من استحب الوقوف على رؤوس الآي في كل حال دون مراعاة المعنى، وهو قول مرجوح.

[49] القرآن. سورة المزمل. 73: 17-19

ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه القرآن هو تعليم الإيمان أولاً قبل تعليم الأحكام وهي داخلة ضمن القاعدة المشهورة عند السلف في التعليم (العالم الرباني: هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره)، وقد جاء في تعليم الإيمان قبل الأحكام آثار مشهورة: فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا[50].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان.

المرحلة الخامسة: كيف نستفيد من كُتب التفسير:

كتب التفسير المناسبة لهذا المستوى كثيرة، منها:

1) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير للمباركفوري.
2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة السَّعدي.
3) زبدة التفسير من تفسير فتح القدير لـ د. محمد بن سليمان الأشقر.
4) التفسير الوجيز لـ د. وهبة الزحيلي، ومعه أسباب النزول، وقواعد الترتيل.
5) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري.

وما يناسب عموم المسلمين هو أن يجمعوا بين كتابين هما:

1-المصباح المنير. وهو تفسير مختصر يعتني بالآثار ويرتبها، وهو يفيد في بيان معنى الكلمة عند السلف رضوان الله عليهم أجمعين. فإن كان المصباح المنير فيه عُسُر ؛ فزبدة التفسير للأشقر فيه نفع كبير .

2-تيسير الكريم الرحمن للعلامة السَّعدي، لأنه يعتني بالمعاني العامة، وبمسائل الإيمان والتربية ونحو ذلك، ويُصرِّح بالعقيدة الصحيحة، وينبِّه على مخالفة المخالفين لها، وغير ذلك مما يحتاجه عموم المسلمين.[51]

تلاوة القرآن الكريم من التدبر إلى التأثر:

تدبر القرآن مرحلة تالية لمرحلة الفهم، ولا يمكن أن يتأتى التدبر لمن لم يفهم معاني القرآن.

---

[50] ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، *سنن ابن ماجه*،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي،ج1:ص23 وقال في مصباح الزجاجة ج1/ص12: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

[51] انظر:عصام بن صالح العويد. *فن التدبر في القرآن الكريم*، ص7-10

القرآن الكريم نور البصائر، وهداية العقول، وطمأنينة القلوب، وشفاء النفوس، ولكي يحقق القرآن في الأفراد آثاره، ويؤتي في الأمة ثماره، فإنه لابد من أمرين أساسين:حسن الفهم له، وقوة اليقين به.

أولاً: حسن الفهم

قال ابن تيمية:"حاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن "، والفهم الصائب أساس العمل الصالح، وإذا لم يتحقق حسن الفهم فإنه لا مناص من أمرين: الحيرة والاضطراب وعدم العمل، أو العمل على أساس منحرف أو مختل لا يوصل إلى الغاية المنشودة والنهاية المحمودة.

الطريق إلى حسن الفهم:

لكي نصل إلى حسن الفهم فلنأخذ بهذه الخطوات:

حسن الصلة:كيف يفهم القرآن من يهجره ولا يقرؤه ؟، وأنّى لمن ترك تلاوته والاستماع إليه أن يفقهه ؟ ومن هنا لا بد من:

كثرة التلاوة: وهو أمر رباني قال تعالى: { إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ }[52]

تجويد التلاوة: بمعرفة الأداء الصحيح بالتلقي والمشافهة لأن النبي صلى اله عليه وسلم قال: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة).

حسن التلاوة:وفي ذلك قوله تعالى:{ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً }[53]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن).

الإنصات للتلاوة: وقد قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [54]} التأني في التلاوة: وقد ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: " لا تهذوا القرآن هذاً كهذّ الشعر، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة ".

حسن التدبر: والمراد بالتدبر تفهّم المعاني وتدبر المقاصد ليحصل الاتعاظ ويقع العمل، وهو أمر مهم جعله الله مقصداً أساسياً لنزول القرآن فقال: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }[55]، ومدح الحق

---

[52] القرآن.سورة النمل،27: 91-92

[53] القرآن.سورة المزمل،73: 4

[54] القرآن.سورة الأعراف،7: 204.

[55] القرآن.سورة صّ، 38:29

جل وعلا من تدبر وانتفع، فذكر من صفات عباد الرحمن:{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً }[56]، وذم الله عز وجل من ترك التدبر فقال: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }[57]، والتدبر من النصح لكتاب الله الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سياق بيان معنى النصح لكتاب الله عدّ النووي التدبر من ضمنه فقال:" والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله". وحسن الصلة معين على التدبر، فهذا ابن كثير يقول في الترتيل:" المطلوب شرعاً إنما هو تحسين الصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه"، والنووي يقول:" الترتيل مستحب للتدبر وغيره"، فمن أدام الصلة بالقرآن تلاوة وتجويداً وتحسيناً تيسر له الانتفاع بالقرآن تدبراً وتفكراً، قال ابن باز عن قارئ القرآن:"ينبغي له أن لا يتعجل، وأن يطمئن في قراءته، وأن يرتل...المشروع للمؤمن أن يعتني بالقرآن ويجتهد في إحسان قراءته، وتدبر القرآن والعناية بالمعاني ولا يعجل"، والعكس صحيح فالقراءة السريعة بعيدة كل البعد عن التدبر كما قال القرطبي:" لا يصح التدبر مع الهذّ".[58]

والاستماع الواعي له أعظم الأثر في التدبر والتأثر، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يقول لأبي موسى الشعري رضي الله عنه:" يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يسمعون ويبكون ".

وهذا أعظم تأثيراً في القلب كما قال ابن القيم:" فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن والتدبر".

وقد جمع الأمران (حسن الصلة وحسن التدبر) في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) [59].

ثانيا– قوة اليقين:

لابد من الاعتقاد الجازم بكل ما في القرآن من الأخبار والحقائق، وبسلامة وكمال ما فيه من الأحكام والشرائع، وصدق ما فيه من الوعد والوعيد، والتسليم بما فيه من الحِكم والسنن، وذلك كله بيقين راسخ يقتنع به العقل، ويطمئن به القلب في سائر الأماكن والأزمان، وفي كل الظروف والأحوال.

---

[56] القرآن.سورة الفرقان،25:73

[57] القرآن.سورة محمد،47: 24

[58] القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد. 1384هـ/1964م. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني،وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة:دار الكتب المصرية. ج15: ص192.

[59] أحمد بن حنبل. المسند. ج18: ص389

وهجر التفسير والفهم والتدبر نوع من أنواع هجره. قال ابن كثير:"ترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه"[60].

قال ابن تيمية: (وأما في باب فهم القرآن فهو –أي: قارئ القرآن– دائم التفكر والتدبر لألفاظه واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه عن غيره من كلام الناس،وإذا سمع شيئاً من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن؛ فإن شهد له بالتزكية قَبِلَهُ وإلا ردّه)[61]

فكلام ابن كثير يدل على أن انصراف الطلاب إلى طلب العلم في غير القرآن نوع من أنواع هجره، وكلام شيخ الإسلام يدل على أن الواجب على الطلاب أن يستغنوا بمعاني القرآن وأحكامه عن غيره من كلام البشر، ويدل لهذا ما ذكر ابن أبي الحواري أن فضيل بن عياض قال لقوم قصدوه ليأخذوا عنه العلم: لو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاءاً لما تريدون، فقالوا: تعلمنا القرآن، فقال: إن في تعلُّمكم القرآن شغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم، قالوا: كيف يا أبا علي ؟ قال: (لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه – تفسيره وبيانه – ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة)[62].

فهذا فضيل بن عياض اعتبر التفقه في غير القرآن شغلاً لا طائل من ورائه، ثم هو يصحّح لهؤلاء الطلاب التوجهات الصحيحة لطلب العلم في زمنه ويردهم إلى طلب التفقه في القرآن نفسه.وهكذا كان بعض السلف يقدمون القرآن وعلومه وتفسيره على أي علم آخر ؛فقد وجد من يمنع طلب علم الحديث وكتابته قبل حفظ القرآن، وكانوا يختبرونهم في بعض معانيه ؛ فهذا عبد الله بن المبارك يختبر من جاء يطلب الحديث عنده في القرآن وبعض علومه.

موقف التاس من كتاب الله على أقسام ثلاثة:

1– قسم أعرض عن كتاب الله وهؤلاء خُصماء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}[63]، وليس الحديث معهم في هذه الرسالة.

---

[60] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي،1419 هـ، *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق محمد حسين شمس الدين،ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون. ج6:ص99

[61] ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،1416هـ/1995م، *مجموع الفتاوى*. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المدينة النبوية.المملكة العربية السعودية:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ج16:ص50

[62] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. ج1: ص22

[63] القرآن.سورة الفرقان. 30:25

2- قسم يتلو كتاب الله تعالى ؛ لكنه لم يستشعر عظمته، ولم يُدرك حقيقته، ولم يقف على سلطانه، ولم يَدْرِ أين إعجازه، ومن أجله كانت هذه الرسالة.

3- قسم يُراجع كتب التفسير، وله همة في فهم كتاب الله، لكنه يشعر بأنه ما زال بعيداً عن التدبر الحق لهذا الكتاب العظيم.[64]

الخاتمة:

لقد توصلنا في خاتمة هذا البحث إلى أن الصورة المثلى هي العناية الفاعلة بالتلاوة، ومعرفة المعاني الصحيحة للآيات من خلال الرجوع إلى أقوال الأمة الثابتة عنهم في كتب التفاسير المعتمدة، مع الاهتمام بالتأمل والتفكر والتدبر، لفهم خطاب الرب سبحانه ومراداته وذلك للعمل الواعي بمضمونه، والتحرك لإنفاذه، والحرص على بيانه وإذاعته ونشره، ودعوة الآخرين إلى نهجه بعد فهمه وتدبره وتطبيقه، وفق هذه المراحل والخطوات التي تعرض هذا البحث المتواضع لبيانها وتفصيلها وإقرارهان وهي الصورة المثلى لتعامل المسلم مع كتاب الله عز وجل، وبهذه الحيثية تتكشف للمسلم كنوز هذا الكتاب الكريم وأسراره العظيمة، فيظفر بالنجاح والفلاح في الدارين، وبهذا النور الوهاج، والوعي الوثيق بما انطوى عليه هذا الكتاب من البركات والخيرات، فتفتح له السدد، وتذل له العقبات والصعاب، فإن في هذا الكتاب المكنون تكمن البدائع والفنون في كل صعيد، وبه يمكن أن ننشأ أعظم حضارة، يسعد بها الناس ويرتقوا، ويفوزوا بخير الدارين العاجلة والآجلة، وصدق الله العظيم حيث يقول: " لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"[65]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[64] عصام بن صالح العويد. *فن التدبر في القرآن الكريم*. ص3

[65] القرآن. سورة الأنبياء، 21: 10

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني،1421 هـ /2001 م. *المسند*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1.مؤسسة الرسالة.

3- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،1422هـ، *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة.

4- الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،1998 م.*سنن الترمذي*، المحقق: بشار عواد معروف، د.ط. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

5- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،1416هـ/1995م. *مجموع الفتاوى*، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

6- الدارمي:أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، 1412 هـ/ 2000 م، *سنن الدارمي*، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط1، المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.

7- أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، *سنن أبي داود*، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط. صيدا، بيروت: المكتبة العصرية.

8- الشوكاني:محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، *فتح القدير*.ط1.دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

9- صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي مع بعض المختصين. *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم*.ط4.جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع.

10- عصام بن صالح العويد.عضو هيئة التدريس في كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1426هـ. *فن التدبر في القرآن الكريم*.

11- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري1384هـ - 1964 م، *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية.

12- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي،1419 هـ، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق محمد حسين شمس الدين.ط1.بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

13-ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، *سنن ابن ماجه*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

14- ابن المبارك: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، *الزهد والرقائق*، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: دار الكتب العلمية.

15- المروزي: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، *تعظيم قدر الصلاة*، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي،ط1. المدينة المنورة:مكتبة الدار.

16- مسلم بن الحجاج النيسابوري، *صحيح مسلم*.تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

17- ابن منظور:محمد بن مكرم بن على.1414 هـ. *لسان العرب*. ط3 بيروت: دار صادر.

18- الوهيبي: فهد الوهيبي.صفر 1424.ملتقى أهل التفسير
http://vb.tafsir.net/tafsir27388/#ixzz2e6fXDmlt